

السيد جمال الدين الأفغاني

داعية التضامن الإسلامي و النهضة العربية

طارق أحمد آهنگر*

كان القرن التاسع عشر قرن سيطرة بريطانيا وكانت سيطرتها هذه ممتدة من قارة آسيا الي أفريقيا ويقال "إن شمس بريطانيا لا تغرب" و في الحقيقة أنها كانت تمتلك القوة العسكرية مع قوتها العلمية والفكرية فلم يستطع أحد مقاومتها وكانت ترزخ تحت سيطرتها كثير من بلاد العالم ولاسيما البلاد الإسلامية التي لها تاريخ عريق وثقافة عظيمة غير أنها ضعفت أمام هذا الاستبداد البريطاني وأفلست حياة سكانها أفلاسا بسبب ضعف عزمهم وبحثهم عن منافعهم الشخصية مع فساد أمرائهم ، فأصبحوا فريسة للعقدة النفسية المحطمة وانسحبوا من معركة الحياة واستسلموا للكسل و الانحلال والشعور الزائف بالماضي، وهي كلها التي جعلت هيكل مجتمعها ضعيفا واهنا. وكان أقرب داء مجتمعها هو "التخلف التعليمي". فقد كانوا يكرهون التعليم الحديث ويرفضون أن يسايرو الزمان والحياة المتطورة. وما زالوا يعتقدون أساليب الحياة القديمة ويتمسكون بالتقاليد والأوضاع العنيفة، فنما فيهم اليأس والقنوط.

قيل "إن أهلك الظلام هي ساعة الأخيرة من الليل قبل مطلع الفجر الصادق بلحظات" و في هذه الظروف المتوترة قام رجل من أفغان بتخطيط استراتيجية تختلف تماما عن طريقة المقاومة فقد تفكر في استغلال الفرص المتوترة لإصلاح مجتمعه، وكان يري أن لا يمكن إصلاح الحكومة الا باصلاح الشعب، و يسأل: ماذا ينفع الحكومة الصالحة إذا كان الشعب غير صالح؟. و كان فيلسوفا، ومصلحا، وثنائرا، وأحد كبار رجال الفكر والسياسة و أحد الأعلام

* الأستاذ المساعد في قسم اللغة العربية بجامعة كشمير، سرينغر.

البارزين للفكر الإسلامي بالنسبة الى التجديد ومن أعظم دعاة الوحدة الإسلامية في العصر الحديث ، و رائداً من رواد النهضة المصرية. و لم يكن هذا الرجل غير السيد جمال الدين الأفغاني.
مولده ونشأته:

ولد محمّد جمال الدين بن السيد صفتر الحسيني الأفغاني عام ١٨٣٩م^(١)، في أسعد آباد إحدى مدن بلاد الأفغان^(٢) ، ووالده السيد صفتر الحسينية، و ينتهي نسبه الى السيد علي الترمزي المحدث الشهير ثم يرتقي إلى عمر بن علي زين العابدين بن الحسين بن علي بن أبي طالب رضى الله عنه، ومن هنا جاء التعريف عنه بالسيد جمال الدين الافغاني^(٣). كانت منزلة أسرته عالية في بلاد الأفغان، لنسبها الشريف، ولمقامها الاجتماعي والسياسي إذ كانت لها الإمارة والسيادة على جزء من البلاد الأفغانية، فحكمت فيه إلى أن نزع الإمارة منها دوست محمد خان أمير الأفغان وأمر بنقل والد السيد جمال الدين وبعض أعمامه إلى مدينة كابل، وانتقل إليها والده مع ولده الأفغاني، وهو الثامنة في عمره، فعني أبوه بتربيته وتعليمه، على ما جرت به عادة الأمراء والعلماء في بلاده حيث قضى الأفغاني السنين الأولى من طفولته وشبابه في أفغانستان، فدرس فيها العربية، وعلوم الشريعة. حفظ القرآن في العاشرة من عمره، ثم درس العلوم العقلية والتاريخ^(٤) إضافة إلى اللغة الأفغانية والفارسية، كما تلقى علوم الدين، والتاريخ، والمنطق، والفلسفة، والرياضيات، فأستوفى حظه من هذه العلوم، على أيدي أساتذة من أهل تلك البلاد على الطريقة المألوفة في الكتاب الإسلامية المشهورة، واستكمل الغاية من دروسه وهو في المراهقة من عمره، ثم سافر إلى الهند، وأقام بها سنة وبضعة أشهر يدرس العلوم الحديثة على الطريقة الأوروبية وتعلم اللغة الإنجليزية والعلوم الرياضية فنضج فكره، واتسعت مداركه وكان بطبعه شغوفاً إلى الرحلات والاستطلاع على أحوال الأمم، فأراد وهو في الهند أن يؤدي فريضة الحج، فاغتنم هذه الفرصة وقضى سنة ينتقل في البلاد، ويتعرف أحوالها، وعادات أهلها، حتى وافى مكة المكرمة في سنة ١٨٥٧ م وأدى الفريضة.^(٥)

نشاطاته العملية:

ثم عاد إلى بلاد الأفغان، وانتظم في خدمة الحكومة

على عهد الأمير دوست محمد خان المتقدم ذكره وكان أول عمل له مرافقته إياه في حملة حربية جردها لفتح هراة، إحدى مدن الأفغان، وليس يخفى على أحد أن النشأة الحربية تعود صاحبها الشجاعة، واقتحام المخاطر، ومن هنا تبدو صفة من الصفات العالية، التي امتاز بها جمال الدين، وهي الشجاعة، فإن من يخوض غمار القتال في بدء حياته تألف نفسه الجرأة والإقدام، وخاصة إذا كان بفطرته شجاعاً.

سار الأفغاني إذن في جيش دوست محمد خان لفتح "هراة"، ولازمه مدة الحصار إلى أن توفي الأمير، وفتحت المدينة بعد حصار طويل، وتقلد الإمارة من بعده ولي عهده شير علي خان سنة ١٨٦٤م.

ثم وقع الخلاف بين الأمير الجديد وإخوته، إذ أراد أن يكيد لهم ويعتقلهم، فانضم السيد جمال الدين إلى محمد أعظم أحد الأخوة الثلاثة، لما توسمه فيه من الخير. استعرت نار الحرب الداخلية، فكانت الغلبة لمحمد أعظم، وانتهت إليه إمارة الأفغان، فعظمت منزلة الأفغاني عنده، وأحله محل الوزير الأول، و بحسن تدبيره استتب الأمر للأمير، ولكن الحرب الداخلية، ما لبثت أن تجددت، إذ كان شير علي لا يزال يسعى لاسترجاع سلطته، وكان الإنجليز يعضدونه بأموالهم ودسائسهم، فأيدوه ونصروه، ليجعلوه من أوليائهم وصنائعهم، وأغدق شيرعلي الأموال على الرؤساء الذين كانوا يناصرون الأمير محمد أعظم، فبيعت أمانات ونقضت عهود وجددت خيانات، كما يقول الأستاذ الشيخ محمد عبده وانتهت الحرب بهزيمة محمد أعظم، وغلبه شير علي، وخلص له الملك.

بقي السيد جمال الدين في كابل لم يمسه الأمير بسوء، احتراماً لعشيرته وخوف انتفاضة العامة عليه حمية لآل البيت النبوي، وهنا أيضاً تبدو مكانة الأفغاني، ومنزلته بين قومه، وهو في المرحلة الأولى من حياته العامة، ويتجلى استعداده للإضطلاع بعظائم المهمات، والتطلع إلى جلائل الأعمال، ومع ذلك رأى السيد جمال الدين خيراً له أن يفارق بلاد الأفغان لأن شيرعلي نسج المؤامرات ضده من حين إلى آخر.^(١)

رحلته إلى الهند:

لم ينفك الأمير شيرعلي يدبر المكاييد للسيد جمال الدين، ويحتال للغدر به فرأى السيد أن يفارق بلاد الأفغان، ليجد جواً صالحاً للعمل، فاستأذنه للحج، فأذن له، فقصده إلى الهند سنة ١٨٦٩م، وكانت شهرته قد سبقته إلى تلك الديار لما عرف عنه من العلم والحكمة، وما ناله من المنزلة العالية بين قومه، ولم يكن يخفى على الحكومة الإنجليزية عدوانه لسياستها، وما يحدثه مجيئه إلى الهند من إثارة روح الهياج في النفوس، خاصة لأن الهند كانت لا تزال تضطرم بالفتن على الرغم من إخماد ثورة سنة ١٨٥٧م (حرب الاستقلال الأولى)، فلما "وصل الهند من أجل إصلاح حال الأمة الإسلامية وكانت بحكم مجاورتها للهند المحتلة من قبل الاستعمار البريطاني تتعرض لهجة استعمارية أقوى مما يتعرض له أي بلد إسلامي آخر"،^(٧) "ورحبت به حكومتها الانكليزية وأكرمته ولكنها فرضت عليها حصاراً، ويحول بينه وبين لقاء العلماء وجماهير المسلمين"^(٨). ولكنها تعلم أن أهل العلم والفضل ليهرعون إليه، و يقتبسون من نور علمه وحكمته، ويستمعون إلى أحاديثه وما فيها من اغذية العقل والروح، والحث على الأنفة وعزة النفس، فمنعت الحكومة الاتصال به، ولم تأذن له بالاجتماع مع العلماء ورجال السياسة وغيرهم من مريديه، وكان الافغاني كما وصفه احمد أمين: "انه محرر العقول ومحرك القلوب، ومزلزل العروش ومن كانت السلاطين تفار من عظمته وتخشى من لسانه وسطوته والدول ذات البنود تخاف من حركته، والممالك الواسعة الحرية تضيق نفساً بحريته"^(٩). فلم يبق هناك طويلاً، ثم أنزلته الحكومة بإحدى سفنها إلى السويس.

وصوله الى مصر:

نزل في مصر لأول مرة أوائل سنة ١٨٧٠م، وأقام بها أربعين يوماً، لأنه لم يكن يقصد الإقامة بها طويلاً، لأنه جاء إلى مصر ليسافر منها إلى بلاد الحجاز فلما سمع الناس خبر قدومه، اتجهت إليه أنظار النابهين من أهل العلم، وحينما زار الأزهر الشريف اتصل به كثير من الطلبة، فأنسوا فيه روحاً تفيض معرفة وحكمة، فأقبلوا عليه يتلقون بعض العلوم الرياضية، والفلسفية، والكلامية، وقرأ لهم شرح "الأظهار" في البيت الذي نزل به بخان

الخليلي، " وكان نشاطه العلمي ذا شعبتين: دروس علمية منظمة يلقيها في بيته في (خان الخليلي) ، و دروس عملية يلقاها بين زوار بيته و في بيوت العظماء حين يريد زيارتهم ، و في ((قهوة البوستة)) بالقرب من ((العتبة الخضراء)) و حيثما كان في المجتمعات^(١٠) و كان يحضر في حلقات درسه علماء الأزهر و غيرها أمثال الشيخ محمد عبده ، و الشيخ عبد الكريم سلمان ، و الشيخ ابراهيم اللقاني و الشيخ سعد زغلول ، و الشيخ ابراهيم الهلباوي. ثم تحول عزمه عن الحجاز، ثم سافر إلى الأستانة.

سفره إلى الأستانة و العودة منها:

وصل جمال الدين إلى الأستانة، فلقى من حكومة السلطان عبد العزيز حفاوة وإكراماً، إذ عرف له الصدر الأعظم عالي باشا مكانته، وكان هذا الصدر من ساسة الترك الأفاضل الذين يعرفون أقدار الرجال، فأقبل على الأفغاني يحفه بالاحترام والرعاية، ونزل من الأمراء والوزراء والعلماء منزلة عالية، وتناقلوا الثناء عليه، و رغبت الحكومة أن تستفيد من علمه وفضله، فلم تمض ستة أشهر حتى جعلته عضواً في مجلس المعارف، فاحتل مسؤوليته، وأشار بإصلاح مناهج التعليم، ولكن آراءه لم تلق تأييداً من زملائه، ولم يكن على وفاق مع شيخ الإسلام حسن فهمي أفندي، وفي ديسمبر سنة ١٨٧٠م، رغب إليه مدير دار الفنون أن يلقي فيها خطاباً للحث على الصناعات، فاعتذر بضعفه في اللغة التركية، فألح عليه فأنشأ خطاباً طويلاً كتبه قبل إلقائه، وعرضه على نخبة من أصحاب المناصب العالية، فأقرروه واستحسنوه.

وألقي الأفغاني خطابه بدار الفنون في جمع حاشد من ذوي العلم والمكانة، فنال استحسانهم، لكن حدث بينه وبين شيخ الإسلام خلاف، فأمرته حكومة الأستانة بالرحيل عن الأستانة ببضعة أشهر، حتى يهدأ الاضطراب ثم يعود إليها إن شاء، و رغب إليه بعض مريديه أن يتحول إلى الديار المصرية، فعمل برأيهم وقصد إليها مرة أخرى

عودته إلى مصر:

عاد السيد جمال الدين إلى مصر في مارس سنة ١٨٧١م^(١١) ولم يكن ينوي الإقامة بها، بل كان قاصد إلى مشاهدة مناظرها،

واستطلاع أحوالها، و كان رياض باشا، وزير إسماعيل ذلك الحين يود إقامته في مصر، وأجرت عليه الحكومة راتباً مقداره ألف قرش كل شهر، توجه إليه كثير من طلبة العلم ينهلون من ينبوع عرفانه، ويقتبسون الحكمة من بحر علمه، فقرأ لهم الكتب العالية في فنون الكلام، والحكمة النظرية، من طبيعية وعقلية، وعلوم الفلك، والتصوف، وأصول الفقه، بأسلوب طريف، وكانت طريقة تدريسه مبتكرة تختلف تماماً عن الطرق التقليدية "وكان يحدد موضوع الدرس فقط من الكتاب، ثم يفيض في شرح الموضوع من عنده حتى يحيط به من جميع أطرافه، و بعد ذلك يقرأ نص الكتاب فإذا هو واضح ظاهر بيّن فيه موضع الخطأ والصواب^(١٢). وكان أسلوبه في التدريس مخاطبة العقل، وفتح أذهان تلاميذه ومريديه إلى البحث والتفكير، وبت روح الحكمة والفلسفة في نفوسهم، وتوجيه أذهانهم إلى الأدب والإنشاء والخطابة وكتابة المقالات الأدبية والاجتماعية والسياسية فظهرت على يده نهضة في العلوم والأفكار التي أنتجت أطيب الثمار في ما بعد. وصل الأفغاني مصر حينما كانت الطبقة العليا من العلماء والمتقنين تتطلع الى رائد تائر ومصالح مجيد. وهنا موضع للتساؤل، أي دافع دفع "الخدوي إسماعيل" ان يجلب الأفغاني للإقامة في مصر، وإكرام مثواه، ويبدو هذا العمل غريباً، لأن جمال الدين كان سياسياً ومجموعة أخلاق ومبادئ ولا ترغب فيه الملوك المستبدون لينال عطفهم ورعايتهم، ولكن في حقيقة الأمر كان لإسماعيل جانب ممدوح من صفاته الحسنة وهو حبه للعلم، ورغبته في نشره ورعايته، وكانت شخصية جمال الدين علمية، واشتهر بفلسفة توحيد الأمة الإسلامية و نهضة المصرية العلمية و الثقافية في ذلك الحين، فلا غرابة أن يكرم إسماعيل العالم المحقق مثله الذي يفيض على مصر من بحر علمه وفضله، وفي الحق أن إسماعيل لم يكن يقصر في اغتنام الفرصة لتنشيط النهضة العلمية ورعاية العلماء والأدباء، فرغبته شخصية جمال الدين العلمية أن يبقى بمصر لتنشأ تحت أثره معاهد العلم وأهمل شخصيته السياسية و موقفه السياسي إهمالاً تاماً ضد سيطرة الانجليز و آرائه السياسية و كراهيته للاستبداد ونزعتة الحرة. فلم يكن إسماعيل يخشى آرائه أو يحسب لها حساباً كبيراً، لأنه في ذلك الحين سنة ١٨٧١م كان قد بلغ أوج سلطته

ومجده، فكان يحكم البلاد حكماً مطلقاً، يأمر وينهى ويتصرف في أقدار البلاد دون رقيب أو حسيب. وقد بدأت النهضة التي ظهرت على يد السيد، علمية و أدبية، ولم تتطور إلى الناحية السياسية إلا حوالي سنة ١٨٧٦م، على أنها في تطورها السياسي لم تتجه ضد إسماعيل بالذات، بل اتجهت في الجملة ضد التدخل الأجنبي. ، ومهما يكن واقع الأمر فإن فضل المشاركة في عمل السيد كان له الأثر البالغ في نهضة مصر العلمية والفكرية والسياسية.

دعوته الإصلاحية و أثرها في مصر

أقام السيد في مصر، وأخذ يبث تعاليمه في نفوس تلاميذه، فظهرت على يده بيئة استضاءت بأنوار العلم والعرفان وارتوت من ينابيع الأدب والحكمة، وتحررت عقولها من قيود الجمود والأوهام، وبفضله خطا فن الكتابة والخطابة في مصر خطوات واسعة، ولم تقتصر حلقات دروسه ومجالسه على طلبة العلم، و بل كان يؤمها كثير من العلماء والموظفين والأعيان وغيرهم."فأنتي جمال الدين فسخر الأدب في خدمة الشعب ، يطالب بحقوقه ، و يدفع الظلم عنه ويهاجم من اعتدى عليه كائنا من كان، يبين للناس سوء حالهم و موضع بؤسهم، و يبصّرهم بمن كان سبب فقرهم ، و يحرضهم أن يخرجوا من الظلمات الي النور، وألا يخشوا بأس الحاكم، فليست قوته إلا بهم، ولا غناه إلا منهم، وأن يلحوا في طلب حقوقهم المغصوبة، وسعادتهم المسلوبة، فخرج على الناس بأدب جديد ينظر للشعب أكثر مما ينظر إلى الحاكم، وينشد الحرية و يخلع العبودية ويفيض في حقوق الناس و واجبات الحاكم، ويجعل من الأديب مشرفا على الأمراء لا سائلا يمد يده للأغنياء و هذه نعمة جديدة لم يعرفها المسلمون منذ عهد الاستبداد.(١٣)

فدور جمال الدين كان له الأثر البالغ في نهضة العلوم والآداب في مصر، ولا يفوتنا القول بأن البيئة كانت مستعدة للراقي صالحة لغرس بذور هذه النهضة، وظهر ثمارها، أو بعبارة أخرى أن مصر بما فيها جامع الأزهر، والمعاهد العلمية الحديثة، والتقدم العلمي الذي ابتداء منذ عهد محمد علي، و كانت على استعداد لتقبل دعوة الحكيم الأفغاني، ووجدت أثره فيها أقوى وأعظم منه في أي بلد من البلدان الأخرى، وفي هذا ما يدل على مبلغ استعداد مصر

للنهضة والتقدم، ولذا سبقت الأقطار الشرقية في التقدم العلمي والفكري والسياسي، فخلف جمال الدين الأفغاني جماعة من تلاميذه من العلماء والحكماء والمثقفين أمثال الشيخ محمد عبده وعبد الله النديم وسعد الزغلول الذين حملوا لواء النهضة المصري، كان من مظاهر هذه النهضة نشاط الصحف السياسية، وإقبال الناس عليها، وتحديثهم في شؤون البلاد العامة، وتبرمهم بحالتها السياسية والمالية، ثم ظهور روح المعارضة واليقظة فيها ضد الاستبداد و التدخل الاجنبي. وفي ٢٦ أغسطس سنة ١٨٧٩م حكومة يرأسها الخديوي توفيق باشا قد نسبت إليه السعي في الأرض بالفساد، واتهمته كذباً بأنه رئيس جمعية سرية من الشبان ذوي الطيش مجتمعة على فساد الدين والدنيا، وحذرت الناس من الاتصال بهذه الجمعية.^(١٤)

نفي جمال الدين من مصري الهند وأقام بحيدر أباد الدكن، وهناك كتب رسالته في الرد على الدهريين، وألزمته الحكومة البريطانية بالبقاء في الهند حتى انقضى أمر الثورة العرابية غير أنها لقيت بالفشل.

جريدة "العروة الوثقى" ترجمان النهضة والتضامن الاسلامي

أخفقت الثورة العرابية، واحتل الإنجليز مصر، فسمحوا للأفغاني بالذهاب إلى أي بلاد يريدونها فاختار الذهاب إلى أوروبا في سنة ١٨٨٣، وأول مدينة نزل بها مدينة لندن، وأقام بها أياماً معدودات، ثم انتقل إلى باريس، وكان تلميذه محمد عبده منفيًا في بيروت عقب إخماد الثورة، فاستدعاه إلى باريس، فوافاه إليها، وهناك أصدر جريدة "العروة الوثقى" ^(١٥) وقد سميت باسم الجمعية التي أنشأتها، وهي جمعية تألفت لدعوة الأمم الإسلامية إلى الاتحاد والتضامن والأخذ بأسباب الحياة والنهضة، ومجاهدة الاستعمار، وتحرير مصر والسودان من الاحتلال، وكانت تضم جماعة من أقطاب العالم الإسلامي وكبرائه وهي التي عهدت إلى الأفغاني بإصدار الجريدة لتكون لسان حالها. اشتركا معاً في تحريرها، وكانت مقالاتها جامعة بين روح جمال الدين، وقلم محمد عبده، فجاءت آيات بينات لسمو المعاني وقوة الروح وبلاغة العبارة وهي أشبه ما تكون بالخطب النارية التي تستثير الشجاعة في نفوس قارئها، واتخذت العروة شعارها إيقاظ الأمم الإسلامية، والمدافعة عن حقوق الشرقيين

كافة، ودعوتهم إلى مقاومة الاستعمار الأوربي والجهاد ضده. " لم يكن معركة الأفغاني ضد الاستعمار الأوربي محصورة في وطن ولكن ساحة ممتدة لتشمل كل وطن الشرق ، و لذلك اهتم الأفغاني كثيرا بمفهوم الأمة الإسلامية ، حتى أن أحد أهدافه الكبرى كان بعثه من جديد إلى الحياة من أجل مواجهة الحكام المستبدين بالأمة، واستثارة المسلمين من الهند الى الجزائر من أجل الوقوف صفا واحدا في وجه الاستعمار الغربي^(١٦).

وقد ذاع شأنها في العالم الإسلامي وأقبل عليها الناس في مختلف الأقطار، ولكن الحكومة الإنجليزية أقلت دونها أبواب مصر والهند، وشدت في مطارقتها واضطهاد من يقرؤها، وبلغ بها السعي في مصادرتها أن أوعدت إلى الحكومة المصرية بتغريم كل من توجد عنده العروة الوثقى خمسة جنيهات مصرية إلى خمسة وعشرين جنيهاً، وأقامت الموانع دون استمرارها، فلم يتجاوز ما نشر منها ثمانية عشر عدداً^(١٧). قضى جمال الدين في باريس ثلاث سنوات لم يزل خلالها ينشر المباحث والمقالات الهامة في مقاومة اعتداء الدول الأوربية على الأمم الإسلامية، ويراسل تلاميذه في مصر. ثم تنقل في البلاد الأوربية إلى أن استقدمه ناصر الدين شاه إلى طهران وجعله وزير الحربية فلم تطل مدته في تلك الوزارة فسافر إلى روسية ورحل إلى باريس وشاهد معرضها سنة ١٨٨٩ وعاد إلى إيران بإجراء الشاه فعني بإصلاح أمورها. فخاف أرباب الدولة من تطرفه فأبعد مريضاً إلى حدود تركيا وسكن مدة مدينة البصرة إلى أن استدعاه السلطان عبد الحميد إلى الأستانة سنة ١٨٩٢ وأسكنه في بعض قصورها فبقي فيها مكرماً إلى سنة وفاته بدء السرطان في ٩ آذار سنة ١٨٩٧. ^(١٨)

وكانت وفاته صبيحة الثلاثاء ٩ مارس سنة ١٨٩٧م، وما أن بلغ الحكومة العثمانية نعيه حتى أمرت بضبط أوراقه وكل ما كان باقياً عنده، وأمرت بدفنه من غير رعاية أو احتفال في مقبرة المشايخ بالقرب من نشان طاش فدفن كما يدفن اقل الناس شأناً في تركيا، تم نقل جثمانه من تركيا في عام ١٩٤٤ في موكب إسلامي مهيب إلى بلده أفغانستان، حيث دفن في مدينة كابل ويقع ضريحه حالياً في وسط جامعة كابل.

مرت معظم حياة الشيخ في الرحلات و سافر من بلد الى آخر

داعيا الي الوعي الاسلامي و الوحدة الاسلامية كما بذر بذور الثورة ضد الاستبداد حيث نزل كما أشار الي ذلك أحمد أمين: "ليس من المبالغة القول إن حياة هذا الإمام الكبير أشبه بالأساطير فقد تنقل من بلد إلى بلد، وفي كل موضع حل به أثار المعارك العاصفة فبقى غبارها وآثارها عند لحظة نفسه أو ترحيله من هذا البلد إلى ذلك فترك في كل وطن جذوة من النار والثورة مشتعلة في وجه الفساد والظلم والطغيان وليس من المبالغة أيضاً أن شخصية جمال الدين الأفغاني هي أكثر شخصيات العالم الإسلامي الحديث إثارة ومدعاة للدهشة"^(١٩).

خاتمة

كما ذكرنا سابقا أن السيد جمال الدين أفغاني قام بتوحيد الأمة الإسلامية ضد السياسة الغربية الاستعمارية وحضارتها الزائفة بأفكاره القيمة السليمة وبدأ ينفخ روح النهضة الإسلامية في البلاد الإسلامية الممتدة من الهند إلى المغرب الأقصى. وكان منهجه في الإصلاح الديني بسيط و هو الدعوة إلى القرآن الكريم والتبشير به ، وكان يرى أن القاعدة الأساسية للإصلاح وتيسير الدين للدعوة هي الاعتماد على القرآن الكريم، و يعتقد أن القرآن من أكبر الوسائل في لفت نظر الإفرنج إلى حسن الإسلام، فهو يدعوهم بلسان حاله إليه. فالقرآن وحده سبب الهداية وأساس الإصلاح، والسبيل إلى نهضة الأمة؛ ومن مزايا القرآن أن العرب قبل إنزال القرآن في طيهم كانوا في حالة همجية لا توصف، فلم يمض قرن ونصف قرن حتى ملكوا زمام العالم، وفاقوا أمم الأرض سياسة وصناعة وتجارة. فالشيخ لم يزل يدعو الأمة الإسلامية الي الوحدة القائمة على دعائم العلم والمعرفة و القوة السياسية والاقتصادية ضد الاستعماريين و الحكام الظالمين فزلزل عروش الاستعماريين والحكام المستبدين الذين استولوا على العروش ظلما واجبارا حتى يخشوا من لسانه ومن أفكاره وخافوا أن تشيع أفكاره وعمليته الإصلاحية التي تجمع الأمة الإسلامية على كلمة واحدة رغم خلاتها السلوكية والفقهية فتقوم الأمة بوحدتها ضد الذين يعرضون ثروة بلادهم لخدمة البريطانية وأمريكا والقوات اليهودية سرّيًا وإعلانيًا. فاختفوا أصوات الشعب بكل قوة وسلطة لأنهم يرون أن أفكاره القيمة ودعوته الإصلاحية تضع

يدها على مركز النهضة والتقدم وتسوقها إلى مكانة عليا. واحظروا عليها حظرا شديدا وصرقوا مليار دولار على أن ينشؤوا المدارس الفكرية والمعاهد البحثية وعينوا الباحثين المستشرقين وعملاءهم من علماء الشرق الذين بذلوا جل جهودهم لتثويبه شخصية السيد جمال الدين أفغاني واتهموه بالإلحاد والزندقة وماسونة وغيرها كما قسموا شخصيته بين الأفغان وإيران وبين الشيعة والسنة ليكن شخصيه مشكوكه ومنتازعة في الامة حتى تنطفئ نار الثورة ضد الحكام الظالمين و المستبدين. ولكنهم لم ينجحوا ولن ينجحوا أبدا.

الحواشي

- (١) أمين، أحمد، زعماء الاصلاح في العصر الحديث ، دار الكتاب، بيروت، ص:٥٩
- (٢) رضا رشيد، تاريخ الأستاذ، الجزء الأول ، القاهرة ٢٠٠٣، ص: ٢٧
- (٣) جواد مصطفى ، اصول التاريخ والادب، ط: ١ ، ص ٨٧
- (٤) رضا رشيد، تاريخ الأستاذ، الجزء الأول، القاهرة ٢٠٠٣، ص: ٢٨
- (٥) أختز، ماه جبين: مساهمة الشيخ محمد عبده في الأدب العربي، ط: ١، حيدر آباد الهند، ٢٠٠٤ ص: ٣٠
- (٦) نفس المرجع: ص: ٣١
- (٧) إبراهيم ، مفيدة محمد: عصر النهضة بين الحقيقة والوهم، دار مجدلاوي للنشر، عمان ١٩٤١٩ / ١٩٩٩ م ، ص: ١٨٣
- (٨) نفس المرجع، ص: ١٨٣
- (٩) أحمد، صلاح زكي: اعلام النهضة العربية الاسلامية في العصر الحديث، القاهرة ٢٠٠١ ص: ٣٥
- (١٠) أمين، أحمد، زعماء الاصلاح في العصر الحديث ، دار الكتاب، بيروت، ص: ٦٤
- (١١) الجندي، عبد الحلیم: الإمام محمد عبده، ط: ٢، دار المعارف، القاهرة، مصر ١٩٨٧، ص: ١٥
- (١٢) أمين، أحمد، زعماء الاصلاح في العصر الحديث، دار الكتاب، بيروت، ص: ٦٤
- (١٣) نفس المرجع، ص: ٦٥
- (١٤) العقاد، عباس محمود، التراتجم و السير ط: ١، دار المعارف، مصر، ١٩٩٢ م، ص: ١٠١
- (١٥) نفس المرجع، ص: ١٠٥

- (١٦) أحمد، صلاح زكي: اعلام النهضة العربية الاسلامية في العصر الحديث، القاهرة ٢٠٠١ ص:٤٠
- (١٧) العقاد، عباس محمود، التراتجم و السير ط: ١، دار المعارف، مصر، ١٩٩٢م، ص:١٠٥
- (١٨) شيخو، لويس: تاريخ الآداب العربية، ص: ٢٨٨
- (١٩) أمين، أحمد، زعماء الاصلاح في العصر الحديث ، دار الكتاب ، بيروت، ص:٣٦